علي رأيتك ايها الشهم الكريم وقفت مئة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فعملك هذا جدد في الآمل وحببني في الامة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجعلني اعتقد بأن اغنياء الامة سيقتدون بك في هذا العمل الجليل الذي قمت به لتعلم ما يجب على الاغنياء نحو وطنهم وكتبت اسعادتك من آيات الشكر ماتستحقه من الله والامة . ثم جاءني كتاب من سعادتك ينبئني بانك أيها البار بوطنك وقفت ثلاث مئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء يدك ادهشني اعجاباً بهمتك العالية وحسن عاطفتك للخير نحو أمتك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وستشكرك الاجيال المستقبلة على فضلك هذا كما شكرتك الامة باسرها . وأهلا بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . نسأل الله ان يمد في أجلك لاحياء بلادك ولتكون قدوة حسنة لغيرك والسلام عليك أيها الفضال (رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

فحق علينا ان نعترف الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني يفتخر المصريون بكرمه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياؤهم في هذه القرون يخلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويبذلون القناطير المقنطرة في الاسراف والمخيلة والتمتع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتضعف الامة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . واننا لننتظر من محسننا العظيم نفحة من هذه النفحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الاسلامية ولعله يخبأ لها إنشاء المدرسة الكلية التي لاتحقق أمنيتها الا بكرمه وجوده

ومما يعجب به الجرائد في هذه الايام ان حسننا العظيم تبرع بألفي ليرة عثمانية إعانة لسكة الحديد الحجازية وبخمس مئة ليرة أخرى باسم والدته فجزاه الله أفضل الجزاء بمنه وكرمه

﴿ جمعية الفضائل الاسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي الغيرة الملية في القيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خمسة قروش في الشهر على ان يشتروا بما يجتمع في كل شهر نسخا من المنار وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويوزعوها على الناس . وهؤلاء النفر الكرام محمد مرسي وابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسن ناصر وعبد الجواد حسن وابراهيم الصعيدي فحياهم الله ونماهم

﴿ قراء الصحف المنشرة ﴾

يقرأ هذه الصحف التي تسمى المجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاصحاب الصحف الرائجة المشهورة أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة مطلا ووفاء . وقد علمنا بالاختبار ان لكل صنف خلقا ولأهل كل قطر خلقا فمسلمو بلاد روسيا أحسن خلق الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك اوراقا مالية بقيمته وأوراقا مطبوعا عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن ارجأ الارسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قليلا ويليهم اهل جزيرة العرب . واسوأهم معاملة وأكثرهم مطلا وإهمالا مسلمو الهند ويليهم أهل الجزائر فان كثيرا من المشتركين في هذين القطرين ليقرأ المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل الى صاحبها شيئا . ومن العجيب أن السلائل العربية في كل بلاد يتبوءونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وسنغافورهم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير . وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الا أفراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا ان نحكم على أهل تلك البلاد لان القراء فيهم قليلون وأصلهم في الغالب مجهول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طولب يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وازلم يطالب ولا أعرف احدا منهم الى اليوم طولب فمطل حتى لا يرجونه الا ان الوكيل طلب منع المنار عن نفر قليل لأن الحق لا يخرج منهم الا نكدا وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لا يزال يشتغل بالتحصيل . فان قيل ان علي بن زين الذي كان وكيلا للمنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمن كتب أرسلتموها اليه بطلبه كتقرير مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكمية وما طلكم في ذلك عدة سنين : نقول اننا لا نزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب الينا يحذرنا منه فلم نحفل بذلك والذي تحققناه انه ماطل ولا نقول انه لا ذمة له ولا أمانة الا اذا كتب الينا الوكيل الذي كلفناه بمحاسبته ومطالبته : انه لا يدفع مختاراً أو تقاضا في المحكمة . هذا وان الوكيل هناك يشكو من عناء التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم اختبار الناس في حرصهم على المال

هذا إيماء الى ما كان من اختبارنا فاذا أردنا ان نمثل ذلك بتأثير الحكومات

بأن نقول ان الامة التي تظلمها حكومتها تتعلم الظلم والامة التي تحكم بالعدل تجري على العدل — خانتنا التعليل وان كان له وجه وجيه إذ يصعب علينا ان نفضل حكومة روسيا على حكومة الهند . والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسخت وانطبعت . ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كيفية الحكم في أخلاقها . ولكن أخلاق الامم تتطبع في الزمن الطويل ولا تتغير الا في الزمن الطويل ولذلك لا يصح الحكم على أخلاق الامة بحال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين يفعل الاستبداد والاستذلال في نفوسهم عدة قرون لا يتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لا سيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجون وخلاعة . ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجانا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمنا ثم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجدون فيها ويجتهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين . وأهل الهند كانوا اذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية قليلة مع تضييق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها لقصر الزمن

وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بداوتهم في ظلمات من الفوضى والجهل لا يبصرون ولا يبصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وانها هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونسيين عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالت منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكام الطغاة من المسلمين اذ لا يفل الحديد الا الحديد . والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

بقي الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من المناطين والخائنين والهاضمين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نفرا أعز وجودا أمثالهم في سواها . في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاصناف ، كما يرى الراءون بين الاشخاص . وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاء وأسهلهم قضاء علماء الدين أو قضاة الشرع أو القضاة عامة لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بآثار اللي في الحقوق

ومضراته لانها ممثلة كل يوم أمام أعينهم في أقبح صورها وأشكالها. ليس هذا الحسبان بصحيح ولعل القارئ لا يتوقع ان أقول ان أحسن الناس وفاء وأطهرهم ذمة المهندسون. ولعل السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها أوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى

أما المطل فهو على أشده في أهل البطالة ثم في كتاب الدواوين وغيرها لان أكثرهم لا هم له من حياته الا أن يكون له رزق مضمون يتمتع به وان كان قليلا أعني أنهم لا تهمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد عالية وانما يذكرون لفظ الملة أو الوطن حكاية للالفاظ التي تكثر في الجرائد ومن يشترك في الجرائد منهم فانما يشترك تشبها بالوجهاء والرؤساء. هذا كلامنا في الاكثرين ومنهم أفراد من أرباب البيوت التي لها سلف في حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سذاجة الفلاحين الفطرية التي لم يطغ عليها طوفان فساد ما يسمونه (التمدن) فاولئك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عونا للصحيفة التي يعتقدون نفعها وقليل ماهم

ومن العجيب ان يكثر المطل واللي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء وأعوانهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة من يدافعون محصل الجريدة من شهر الى شهر حتى تصير هذه الشهور سنين فما بالك بمن دونهم؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يطلبها الوجهاء منهم على ان تكون هدية ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن ينقص من قيمة الاشتراك المعينة شيئاً النصف فما دونه ويلح في ذلك إلحاحا ثم انهم بعد ذلك لا يتنزهون عن المطل والتسويف ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وهضمها بالمرة كما يفعل بعض كتاب الدواوين وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء العمد يحبون الجرائد ويكرهون المجلات يحبون الجرائد لانهم لا يتوقعون من مدحها إياهم ودفعها عنهم فيما يتهمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة. ويكرهون المجلات لانهم لا يتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب العلم والادب وقد اعتاد أكثرهم على الظلم وهضم الحقوق حتى ان الاستاذ الامام يضرب

المثل في الدرس ببلادهم. وليس هذا الحكم عاما فاني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثة . وإنما قلت ماقلت في العدد عن سماع لا عن اختبار فان المشتركين منهم في المنار قليلون واني شاكر لهم لا شاك منهم ولا استثني الى اثنين لا أذكرهما بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن المنار ولذلك تجرءا على هضم حقه

ومن الناس من يحتال على قراءة الصحف المنشرة بالانتداب لخدمتها بالمكاتبة أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عانينا من هؤلاء المحتالين ماعانى غيرنا ولم يبق لاحد يعرف المنار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لاتقبل المتطفلين ولكننا نتلقى في كل حين كتابا ممن يصفون أنفسهم بالغيرة على العلم والدين ، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين ، وبعد إطرائنا وإطراء أنفسهم يطلبون ان يكونوا وكلاء . وقد اجبنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحثهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا يخادعوننا في أول الامر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة فتمر السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري أأخذ من المشترك أم لا . وقد كان لنا من أرجى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان حبانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عونا للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لنشرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا ننتظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عليه ان ينبه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حوالة على البريد فسكت ولم يحر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطالبه فلم يرسل الينا مالا ، ولم يرجع الينا قولا ، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتب إنه طالبه فادعى ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لأنه مشترك فيها !! ثم طلبها لمشترك جديد . . . فكتبنا اليه : إنك كنت وكيلا على مشترك واحد فلما صار هو وكيلا صرتما وكيلين على لاشيء . وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونخشى ان يصير في آخر السنة وكيلا فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشيء ثم تجدد هذا في كل عام . . . وما يدرينا أننا اذا أطعنا هذا الوكيل يصير خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء . يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء . !!!